لا عيش إلاّ عيش الآخرة

عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: لما نزل عليّ رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السُّفْل، وأنا وأم أيوب في العلو، فقلت له: يا نبيّ الله، بأبي أنت وأمّي، إني لأكرهُ وأُعْظِم أن أكون فوقك وتكون تحتي، فاظْهر أنتَ فكُن في العُلو، وننزل تحت فنكون في السّفل، فقال ﷺ: «يا أبا أيوب، إنّ أرفقُ بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفل البيت».

قال: فكان رسول الله ﷺ في سُفله، وكنّا فوقه في المسكن، فلقد انكسر حُبٌّ[1] لنا فيه ماء فقمتُ أنا وأم أيوب بقطيفةٍ لنا مالنا لحافٌ غيرها ننشّفُ بها الماء تخوّفاً أن يقطر علىٰ رسول الله ﷺ منه شيءٌ فيُؤذيه!![2].

ثم إنه أمر ببناء مسجده، وكانت البداية شراء الأرض من أيتامٍ من بني النجّار، ثم أمر بنبش بعض القبور، وبقطع بعض أشجار النخيل والغرقد[3].

وشارك المصطفى ﷺ المسلمين في بناء المسجد، وذلك ليرغّب الناس في العمل فيه، وبالفعل عمل المهاجرون والأنصار في بنائه، وكانوا يردّدون أثناء العمل:

لئن قعدنا والنبي يعملُ ... لذاكَ منّا العمل المضلّلُ[4]

روت عائشة رضي الله عنها قالت: وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللَّبِن في بنيانه ويقول متمثلاً شعر واحدٍ من المسلمين:

---

(١) هو: وعاء الماء كالزّير والجرّة.

(٢) المستدرك للحاكم: ٣/ ٤٦١.

(٣) طبقات ابن سعد: ١/ ٢٣٩.

(٤) سيرة ابن هشام: ٢/ ١١٤.

اللّهــم إنّ الأجــرَ أجــرُ الآخــرة فــارحــمِ الأَنْصَــار والمُهــاجــرَةْ[1]

وروىٰ أبو هريرة رضي الله عنه: أنهم كانوا يحملون اللَّبِن إلى بناء المسجد ورسول الله ﷺ معهم، قال: فاستقبلتُ رسول الله ﷺ وهو عارضٌ لَبِنةً علىٰ بطنه، فظننتُ أنها قد شَقَّت عليه، فقلتُ: ناولْنيها يا رسول الله، قال: «خذْ غيرها يا أبا هريرة، فإنه لا عيش إلا عيشُ الآخرة»[2].

وحدّث صلوات الله عليه عن فضائل مسجده، من ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، أن النبيّ ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه إلاّ المسجد الحرام»[3].

أجل يا روح الوجود يا محمد، ماذا يقول عنك المادحون؟ وعن أي وصفٍ يتكلّمون؟

مَدْحُ النبيّ أمان الخائف الوَجِلِ فامدحهُ مُرتجلاً أو غير مرتجلِ
ولا تُشبّــب بــأوطــانٍ ولا دِمَــنٍ ولا تُعــرّج علــىٰ ربــعٍ ولا طلــلِ
وصِـفْ جَمـالَ حبيـبِ الله منفـرداً بوصفه فهو خير الوصف والغزلِ
ريحـانتـاه علـىٰ زهـر الـرّبـا زهتـا فمـا لقلبـي وذكـر البـان والأثـلِ
ريحـانتـاه مـن الـزهـراء فـاطمـةٍ خير النساء وَمَنْ صنو الإمام عليْ
محمـدٌ أفضـل الـرسـل الـذي شهـدت بفضلـــه أنبيـــاء الأعصـــر الأولِ
لم يعْـدُهُ الحُسـنُ في خَلـقٍ وفي خُلـقٍ ولم يـزل حبّـه شُغـلاً لكـلّ خلـيْ

* * *

(١) صحيح البخاري: ٥/ ٧٨.
(٢) المسند للإمام أحمد: ٢/ ٣٨١.
(٣) صحيح البخاري: ٢/ ٧٦.